بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 66 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:27\12\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

كلامه في قوله: ﴿وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾.

طرحنا فيما تقدم شبهة ترتبط بأن الأساور تناولها القرآن الكريم في أربع آيات ثلاثة منها كانت هذه الأساور من جنس ذهب، وفي هذه الآية على نحو الانحصار كان من جنس الفضة، وتقدم ثلاثة أجوبة عن الفخر الرازي، وتقدم أيضاً ما هو المختار في الجواب عن هذا التساؤل.

هناك جواب آخر يطرح عند بعضهم، يرى إنما اختصت هذه الآية بالفضة لتصنع مع سائر الآيات لوحة متكاملة، الآيات الأخرى في سورة الكهف وفاطر والحج لا يوجد فيها حديث عن لوحة متكاملة، بينما في سورة الإنسان فمن بداية السورة تقريباً بدأنا نذكر ما يتنعم به الأبرار، فلا بد حينئذ أن نستعرض هذه الصورة المتكاملة لنرى هل الذي يتناسب معها هو الفضة أم الذي يتناسب معها هو الذهب؟

هذا المنهج وهذه الطريقة سليمة وصحيحة، فيقول: من جملة النعم التي ذكرت في هذه السورة المباركة ﴿وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كانَتْ قَواريرَا () قَواريرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْديراً﴾[1] إذاً في ضمن لوح التنعم يوجد آنية من فضة، يوجد أكواب من فضة، موضوعة على طاولة أنيقة ويطوف عليهم ولدان مخلدون. فالذي يتناسب مع بياض الفضة في الآنية والأكواب أن تكون الزينة والتحلية بأساور من فضة أيضاً. فحينئذ تصبح هناك صورة من التنعم متكاملة متناسقة.

ولا يكفي كما في حياتنا الاعتداء الاعتيادية الإنسان أن يرتدي شيئاً ثميناً، فلابد أن يكون هذا الشيء الذي يرتديه متناسق مع سائر ما يرتديه. يرتدي ساعة من أغلى الساعات في الدنيا لونها أخضر ثم

[1] الإنسان: 15، 16.

يرتدي حذاء لونه أصفر ثم يرتدي قبعة من أغلى القبعات في العالم لونها أرجواني، فيصبح منظره غير مقبول حتى لو كان كل واحد على حدة من أغلى الأمور.

فلا بد من أن التناسق، وهذا له دخالة في التنعم، له دخالة في الإحساس بشعور الرضا مما أوتيت، فالذي يتناسب مع هذه السفرة التي عليها آنية من فضة وأكواب من فضة هو أن تكون الأساور أيضاً من فضة. فلأجل ذلك اختصت هذه السورة المباركة بأن كانت الأساور منفضة.

تمامية هذا الوجه يحتاج إلى الفراغ عن أمرين:

الأمر الأول: أن يكون الأساور من الذهب لا يتناسق في هذه اللوحة المتكاملة.

الأمر الثاني: أن نقطع السؤال، بأن يقال لماذا لم يغير الأمر؟ صحيح أننا نحتاج إلى تناسق، فلتكن الآنية من ذهب حتى تبقى الأساور كما في سائر الآيات من ذهب؟

على كل تقدير، القرائن التي استجمعناها في البحث السابق تتناسب مع ذلك الجواب المتقدم.

هذا تمام الكلام فيما يرتبط بهذا السؤال المثار.

هناك سؤال آخر يثار في هذا المقطع، وهو أن المتنعم في هذه السورة المباركة هم الأبرار كما لا يخفى، والأبرار منهم رجال ومنهم من نساء، مع قطع النظر عن شأن نزول الآية؛ لأن الآية وإن كان لها شأن نزول لكن لها حكم كلي فتجري كما يجري الشمس والقمر كما في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام والذي أخذ منه العلامة الطباطبائي مصطلح الجري والتطبيق.

فلو أن الآية نزلت في قوم ومضوا، فلا يوجد فائدة في هذه الآية، فقط فائدتها في كونها نقل تاريخي، كان في الزمن الماضي جماعة فعلوا ذلك، فذهب حكمها. بل الإمام عليه السلام يقول تجري كما تجري الشمس والقمر، الشمس كل يوم وكل لحظة تطلع على جماعة جديدة والكل يستفيد منها، فالآيات القرآنية من هذا القبيل.

فإذاً في الأبرار هذه الصفة ليست خاصة بصنف خاص من البشر، ليست خاصة بالإناث، وليست خاصة بالذكور، بل لها قابلية الانطباق على الإناث وعلى الذكور.

ومن جهة أخرى السوار يليق بالنساء، وللذكور يكون معيباً، هل هذا يعني أن الحديث في الأبرار عن خصوص النساء حتى يذكر لهن السوار، لا شأن نزول الآيات يتناسب مع ذلك، ولا كلية الآية تتناسب مع ذلك. فالسوار يليق بالنساء، وهو عيب للرجال، فكيف يجعل ذلك في معرض الترغيب؟ فهذه الآيات التي تصف النعيم فيها بُعد ترغيبي؛ لأنها تريد للناس أن يفعلوا كما فعل هؤلاء، أوفوا بنذوركم، وأطعموا المسكين والأسير واليتيم، وأطعموه لوجه الله تبارك وتعالى؛ لأن الله سبحانه وتعالى أعدّ لكم هذه النعم، فهي في مورد الترغيب. فكيف ترغب الآية بما يعد عيباً؟

الفخر الرازي هنا -أيضاً- تبنى عدة أجوبة من دون أن يرجح بينها على نحو الجزم:

الجواب الأول: أهل الجنة جرد مرد شباب، فلا فرق بينها الرجال والنساء، فحينئذ يناسبهم بأجمعهم الأساور.

الجواب الثاني: أن الآيات في هذه السورة ذكرت مجموع النعم، فتوجد نعم إذ هناك ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُورا﴾[2] ونعم ترتبط باللباس ونعم ترتبط بالخدمة ونعم ترتبط بالمناظر ونعم ترتبط بالتضليل ﴿لا يَرَوْنَ فيها شَمْساً وَلا زَمْهَريراً﴾[3] هناك نعم متنوعة. لكن ما جاءت الآيات للتفصيل أن هذه النعمة لمن وتلك النعمة لمن.

مثل العائلة التي أنجزت في دولة من الدول مهمة عظيمة، فجاء رئيس الدولة وبدأ يعلن هذه العائلة سوف نعطيها ألف متر من الحرير، سوف نعطيها عشر ساعات من أفضل أنواع الساعات، سوف نعطيها خمس فساتين، سوف نعطيها عشرة أحذية. هذه كلها يصدق عليها أنها نعم لهذه العائلة، وإن كان هذه النعم تتناسب مع بعض أفراد العائلة، فالأحذية للرجال والحرير للنساء وهكذا. لكن يصح أن تقول أعطينا هذه العائلة هذه الأمور.

هذه الآيات في سورة الدهر أعطت عائلة الأبرار مجموعة من النعم، وعندما ندخل إلى التفاصيل تتوزع هذه النعم على كل شخص بحسب ما يليق به، فحينئذ هذه الأساور تكون من سهم النساء من عائلة الأبرار، من سهم الأولاد الصغار من عائلة الأبرار، ولا تكون من سهم الرجال.

---

[2] الإنسان: 5
[3] الإنسان: 13

فيمكن إذًا أن ترغب جماعة بنعم متعددة، ولكن قد تكون كل نعمة من هذه النعم تختص ببعض أفراد هذه الجماعة وتصلح الترفيه.

يبقى إشكال في الجواب الثاني، أنه قال ﴿وَحُلُّوا﴾ الضمير التذكير، فلو كانت هذه النعم للنساء فقط ينبغي أن يؤنث الضمير، فيقول: هذا سهل من باب التغليب؛ لأنه قلنا الأساور تصلح للنساء والصغار، والصغار فيهم الذكور فيكون ذلك من باب التغليب.

الجواب الثالث: أشبه بالجواب العرفاني، حاصله: أن آلة الأعمال في الأعم الأغلب هي اليد، الإنسان يقوم بالعمل بيده في الأعم الأغلب.

ومن جهة أخرى الأعمال والمجاهدات هي الوسيلة للإنسان إلى تحصيل المعارف الإلهية والأنوار الصمدية، فالأعمال تكون جارية مجرى الذهب والفضة التي يتوسل بها الإنسان لتحصيل غاياته ومطاليبه، فكما أنك في الدنيا بواسطة الذهب والفضة بواسطة الدنانير والدراهم تحصل على ما تريد فالإنسان المؤمن الذي يريده هو الوصول إلى الكمال، فذكر الذهب والفضة أشبه ما يكون كالكناية عن الأعمال التي توصل إلى الكمال؛ ولما كانت تلك الأعمال صادرة من اليد في الأعم الأغلب، فتكون تلك الأعمال بمثابة السور على اليد، فسميت الأعمال بسوار الذهب والفضة، وعبر عن ذلك بقوله ﴿وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾.

فتكون الآية بمقطعيها الأخيرين تشير إلى الآية الأخيرة في سورة العنكبوت ﴿وَالَّذينَ جاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾[4] فالجهاد أي الأعمال، والهداية أي الكمالات التي تريد أن تصل إليها. ففي مقابل ﴿جاهَدُوا فينا﴾ ﴿وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ في مقابل ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾ يأتي قوله تبارك وتعالى ﴿وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً﴾.

فحينئذ لا يوجد حديث عن سوار حقيقي حتى نقول هو عيب للرجال، السوار هنا جعل كناية عن العمل؛ وباعتبار أن العمل يكون عادة بالجارحة باليد، فمحل السوار هو اليد، والعمل يكون باليد،

---

[4] العنكبوت: 69

فتكون الأساور كناية عن الأعمال والمجاهدات، فهي بإزاء قوله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذينَ جاهَدُوا فينا﴾ وأما ما يعطى من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً﴾ نتيجة لهذه الأعمال.

نعلق على ذلك إن شاء الله في الجلسة القادمة.